

الدرس الرابع

*** المتن ***

وتشهد قاطعاً من غير شك *** بأن الله جل عن المثال
علا بالذات فوق العرش حقاً *** بلا كيف ولا تأويل غال
علو القدر والقهر اللذان *** هما لله من صفة الكمال
بهذا جاءنا في كل نص *** عن المعصوم من صحب وآل

*** الشرح ***

هذا البيت وما يتبعه من أبيات كلها في تقرير معتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، وأهل السنة مضت كلمتهم أجمعين على الإقرار بأسماء الله وصفاته، وإثباتها لله عز وجل كما أثبتها لنفسه، وكما أثبتها له رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يمرونها كما جاءت، ويؤمنون بها كما وردت، ويقولون بأن كل ما جاء عن الله سبحانه وتعالى، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فهو حق، فيثبتونه كما جاء، ويؤمنون به كما ورد.

وبدا - رحمه الله تعالى - كلامه في باب الأسماء والصفات بإثبات صفة العلو لله عز وجل، وأن الله علي على خلقه، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه سبحانه وتعالى، فوق عرشه المجيد، مستوٍ استواء يليق بجلاله وكماله، كما أخبر هو سبحانه وتعالى عن نفسه بذلك في القرآن، وكما أخبر عنه رسوله عليه الصلاة والسلام.

قوله: وتشهد: أي يا من تريد لنفسك سلامة القلب وصلاحه، واستقامته، عليك بهذه الشهادة، شهادة

الإيمان، والإقرار، والتصديق بأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته الواردة في كتابه، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

قوله: قاطعاً: أي جازماً، ومتيقناً دون ارتياب أو تردد.

قوله: من غير شك: أي دون أن يقوم في قلبك شيء من الشك أو الارتياب، ولا يكون الإيمان إيماناً إلا

بانتفاء الريب والشك، كما قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات: ١٥]: أي أيقنوا ولم يشكوا، وفي الحديث: قال نبينا عليه الصلاة والسلام: (أشهد أن لا إله إلا الله،

وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا أدخله الله الجنة)، وهو في صحيح مسلم، فالإيمان لا يكون إيماناً إلا بانتفاء الشك والريب، أما مع وجود الشك والريب فلا يسمى إيماناً ولا يسمى عقيدة، فالعقيدة

سميت عقيدة من العقد الذي هو الربط، بحيث أن القلب يجزم بهذا الشيء، أما إذا كان القلب عنده تردد أو نحو ذلك، فهذه ليست عقيدة، ولا يكون أهلها من أهل العقيدة.

قوله: جل عن المثال: هذه جملة معترضة، جملة تنزيه وتقديس بأن تؤمن بأن الله جلا علا، أي تنزه وتقديس عن المثال، أي عن أن يكون له مثال، أي نظير ومثيل، قال الله تعالى: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل: ٧٤]، وقال تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، وقال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مریم: ٦٥]، والاستفهام هنا استفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا سمي له، والسمي الممثل، أي لا مثيل له.

قوله: علا بالذات: هو خبر أن في قوله: أن الله جل عن المثال. أي أن الله علا بذاته علواً حقيقياً يليق بجلاله وكماله، كما قال سبحانه وتعالى في القرآن: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، وقال سبحانه وتعالى في ستة مواضع من القرآن: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤، وغيرها]، والاستواء معناه العلو والارتفاع، فنؤمن أن الله جل علا بالذات فوق العرش.

قوله: علا: أي ارتفع واستوى على العرش المجيد استواء يليق بجلاله.

قوله: فوق العرش: العرش سقف المخلوقات وأعلاها، وقد وصفه الله في القرآن بالعظيم، ووصفه بالمجيد، والمجد هو السعة، ووصفه بالكريم، والكرم هو البهاء والجمال وتعدد المحاسن، وهو أعلى المخلوقات وسقفها.

قوله: حقاً: أي لا ريب في ذلك ولا شك لثبوتها في الوحي، كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

قوله: بلا كيف: أي بلا تكييف، فالنفي هنا نفي للتكييف، أي بلا كيف نعلمه، أما صفات الله سبحانه وتعالى ومنها الاستواء لها كيفية يعلمها هو سبحانه، لكن النفي هنا نفي لعلمنا بالكيفية، وهو كقول السلف عن الصفات عموماً: أمروها كما جاءت بلا كيف، ومعنى قولهم: بلا كيف. أي بلا تكييف، نفي لعلمنا بالكيفية، كيف لا نعلمه؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في القرآن بأنه استوى على العرش، ولم يخبرنا كيف استوى على العرش، فنؤمن بالذي أخبرنا به دون تردد أو ارتياب، ونسكت عما لم يخبرنا به، وهكذا الشأن في جميع أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، بل في جميع المغيبات.

وقد جاء عن الإمام مالك -رحمه الله تعالى- كلمة عظيمة مشهورة عندما دخل عليه رجل، وقال: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، كيف استوى؟. وهذا السؤال عند السلف سؤال باطل محرم، إنما يقع في الغالب من أهل البدع والضلال، فغضب مالك -رحمه الله تعالى- غضباً شديداً حتى علاه الرخصاء، أي تصبب عرقاً

تصبيًا شديدًا، وهذا التصيب للعرق بهذه الشدة يقع من كثير منا في الغالب عندما يُمس شيء من دنياه، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام لم يغضب لنفسه قط، وإذا انتهكت حرمت الله لم يقم لغضبه شيء، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، فغضب مالك ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء، أخرجوه عني. لأن هذا سؤال باطل مرفوض.

الاستواء معلوم: أي معلوم المعنى واضح، أي معناه علا وارتفع علوًا يليق بجلاله وكماله، فكلمة استوى كلمة واضحة المعنى، مفهومة الدلالة.

والكيف مجهول: كيف استوى؟ هذا أمر مجهول لا نعلمه، ولا يجوز لنا أن نخوض فيه، ولا يجوز أن نسأل عنه، ولهذا قال السلف -رحمهم الله تعالى-: في باب الصفات، لا يقال: كيف؟. وفي باب الأفعال لا يقال: لم؟. لا يقال: لم فعل الله كذا؟ ولم لم يفعل كذا؟. من هو العبد الذي يتجرأ على مقام الرب العظيم بمثل هذا السؤال، لم فعل الله، ولم لم يفعل الله؟، ولهذا قال السلف قديمًا -رحمهم الله-: لا تقل: لم أمر الله؟. ولكن قل: بم أمر الله؟. لأنك عبد، تحتاج أن تعرف الذي أمرك الله به لتفعله، وهؤلاء الذين يسألون عن الصفات بكيف؟ وعن الأفعال بلم؟ ذمهم السلف أشد الذم وحذروا منهم أشد التحذير، ونعتوا بالمكيفة واللّمية، فالمكيفة أي يسألون عن الكيف، ويخضون في الصفات بكيف، واللّمية؛ لأنهم يسألون في باب الأفعال بلم، وهذا كله باطل، فلا يجوز السؤال عن كيفية الصفات؛ لأن الصفات معلومة من حيث المعنى، أما كيفيتها مجهولة.

قوله: ولا تأويل غال: أي ثبت العلو دون أن نكيف، وأيضًا في الوقت نفسه نحذر من تأويل الغلاة الذين يحرفون المعنى، ويعطون اللفظ معنى لفظ آخر؛ لأن التأويل هو صرف اللفظ عن معناه ومدلوله إلى مدلول لفظ آخر، مثل قولهم في الاستواء: المراد به الاستيلاء، استوى أي استولى. وهذا تأويل باطل ترده اللغة ويرده الشرع، والاستواء مثل ما قال الإمام مالك: معلوم. معناه معلوم بدون تأويل هؤلاء الغلاة المحرفين، معلوم أي علا وارتفع.

ولهذا قال في أثر آخر -رحمه الله تعالى-: الله في السماء وعلمه في كل مكان. في السماء أي على السماء، علوًا يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى.

قوله: علو القدر والقهر اللذان هما لله من صفة الكمال: أي وأيضًا ثبت لله علو القدر وعلو القهر؛ لأن معاني العلو ثلاثة، وكلها ثابتة لله:

الأول: علو الذات. وقد تقدم في البيت الأول عند قوله: علا بالذات.

الثاني: علو القدر. أي المكانة، قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الزمر: ٦٧].

الثالث: علو القهر. {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام: ١٨].

فهذه المعاني الثلاثة للعو كلها ثابتة.

قوله: بهذا جاءنا في كل نص عن المعصوم من صحب وآل: أي جاءنا في النصوص الثابتة عن النبي

صلى الله عليه وسلم والتي يرويها عنه الصحابة -رضي الله عنهم- وآل البيت -رضي الله عنهم-.

قوله: بهذا جاءنا في كل نص: تنبيه إلى أن هذه العقيدة قائمة على النصوص، خلاف عقيدة المتكلمين

القائمة على الكلام والمنطق والآراء ونحو ذلك.

*** المتن ***

وينزل ربنا في كل ليل إلى	***	أدنى السموات العوال
لثلث الليل ينزل حين يبقى	***	بلا كيف على مر الليال
ينادي خلقه هل من منيب؟	***	وهل من تائب في كل حال؟
وهل من سائل يدعو بقلب	***	فيعطى سؤله عند السؤال
وهل مستغفر مما جنه	***	من الأعمال أو سوء المقال؟

*** الشرع ***

هذه الأبيات الخمسة في إثبات صفة النزول، وهي صفة ثبتت بها السنة المتواترة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام؛ لأن حديث النزول حديث متواتر، رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ثلاثين صحابياً، جمع أحاديثهم وساقها مخرجة من مصادرها الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه: (الصواعق المرسلّة)، فهو حديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر فيه صلى الله عليه وسلم بأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر، قال عليه الصلاة والسلام: (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيقول: من يسألني فأعطيه؟ من يستغفري فأغفر له؟ من يدعوني فاستجب له؟)، والناظم -رحمه الله تعالى- في هذه الأبيات يقرر ثبوت هذه الصفة.

قوله: وينزل ربنا في كل ليل: أي في كل ليلة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن هذا النزول الإلهي

يكون كل ليلة.

وقوله: ينزل ربنا: أسند هذا النزول وأضافه إلى الله، فهو نزول مضاف إلى الله سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا الذي ينزل، ليس غيره، خلافاً لما يقوله أهل البدع في فهم هذا الحديث، والنبي صلى الله عليه وسلم حدث به مرات كثيرة لغير واحد من الصحابة، في كل تلك المرات يقول: (ينزل ربنا)، لم يقل: ينزل أمر ربنا، أو ملك ربنا. أو غير ذلك من تأويلات أهل البدع، فأسند النزول إلى الله، فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا في كل ليلة).

قوله: إلى أدنى السموات العوال: أي إلى السماء الدنيا، وتسمى أدنى السموات، أي إلى الأرض، بالسماء الدنيا، لدنوها لكونها أدنى سماء إلى الأرض، فينزل إلى أدنى السموات العوال، أي السموات العاليات، ينزل إلى السماء الدنيا، وكما تقدم لا يجوز أن يقال: كيف ينزل؟. هذا السؤال باطل محرم من سؤالات أهل البدع، لا يجوز أن يقال: كيف ينزل؟. ونبينا عليه الصلاة والسلام أخبرنا أن ربنا ينزل إلى السماء الدنيا ولم يخبرنا كيف ينزل، فنحن نؤمن بما أخبرنا به، ونكف عن الخوض عما ما لم يخبرنا به، وربنا يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٩٦].

قوله: لثالث الليل: لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن هذا النزول الإلهي في الثالث الأخير من الليل، إذا قسمت الليل إلى ثلاثة أثلاث فثالثه الأخير هو وقت النزول الإلهي.

قوله: ينزل حين يبقى: أي حين يبقى الثالث الأخير من الليل؛ لأن إذا قسمت الليل إلى ثلاثة أثلاث، فالثالث الأخير من الليل هو وقت النزول الإلهي.

قوله: بلا كيف: أي أن هذا النزول بلا تكييف، ولا يجوز أن يقال: كيف ينزل؟. أو يخاض في النزول بكيف، أو يسأل عن النزول بكيف، هذا باطل.

قوله: على مر الليال: أخذاً من قول نبينا عليه الصلاة والسلام: (كل ليلة)، فهو نزول مستمر كل على مر الليالي كل ليلة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قوله: ينادي خلقه: أي الله سبحانه وتعالى ينادي خلقه.

قوله: هل من منيب؟ وهل من تائب في كل حال؟: أي هذا باب مفتوح للإجابة إلى الله والتوبة، والإجابة هي الرجوع إلى الله بالإقبال على طاعته، والتوبة هي البعد عن الذنوب والمعاصي، والإقلاع عنها، قد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

الرَّحِيمِ (٥٣) وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} [الزمر: ٥٣، ٥٤]، فالعبد مطلوب منه أن يتوب بأن يقلع عن الذنوب والمعاصي، وأن ينيب بأن يقبل على الله، طاعة له، وامتنثالاً لأوامره سبحانه وتعالى.

قوله: وهل من سائل يدعو بقلب؟: أي بقلب مقبل على الله، (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لقلب غافل لاه)، في ذلك دعوة إلى الإقبال، إقبال العبد على الله بقلبه، في دعائه وسؤاله، ومناجاته لله سبحانه وتعالى.

قوله: فيعطى سؤله عند السؤال: تنبيه إلى أن الدعاء في ثلث الليل الأخير مستجاب؛ لأن الله قال: (هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من داعٍ فاستجيب له)، فالدعاء مستجاب لا يرد.

قوله: وهل مستغفر مما جناه من الأعمال أو سوء المقال؟: أي طالب من الله سبحانه وتعالى الغفران، وهذا الوقت الشريف هو أفضل أوقات الاستغفار، كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: ١٧]، وقال جل وعلا: {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات: ١٨]، فهو وقت شريف وعظيم من أشرف أوقات الاستغفار وأعظمها.

وانظر في حديث النزول تجد الارتباط بين العقيدة والعمل، وأثر العقيدة الصحيحة في استقامة العمل وصلاحه؛ إذ إن من قام في قلبه إيمان صادق، و قوة يقين بعقيدة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر، وأعانه الله سبحانه وتعالى على القيام في ذلك الوقت، أو في جزء منه، مقبلاً على الله، مناجياً، وداعياً، وسائلاً، وطالبا، كم في هذا من الشرف العظيم والخير الكبير؟ والمنافع والفوائد التي لا حد لها.

ولهذا: فإن هذا الوقت وقت عظيم جداً لتجديد الإيمان، وتقوية أصوله وتثبيتها، وقوة الإقبال على الله سبحانه وتعالى، وحسن الصلة به، وجمال مناجاة الله سبحانه وتعالى، وهو من أحسن الأوقات لتحقيق هذه المعاني في هدوء الكون، وسكونه، وهجوع الناس، يقوم العبد من نومته، مع أن نفسه تدعوه إلى البقاء في فراشه، لا يقوم إلا للإقبال على ربه، وطلب ما عنده، في خلوة بينه وبين الله، لا يطلع عليها إلا ربه سبحانه وتعالى، وكان نبينا عليه الصلاة والسلام إذا قام يتهجد من الليل، بدأ تهجده بكلمات عظيمة جداً من أعظم ما يكون في تقوية الإيمان، وتحديد الاعتقاد، وتقوية الصلة بالله، فكان يستفتح صلاته من الليل —كما في حديث ابن عباس في الصحيحين— بقوله: (اللهم: لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق،

ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق، اللهم: لك أسملت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاکمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)، اشتملت هذه الكلمات على اثنتين وعشرين جملة، وهي جمل عظيمة في تقرير الاعتقاد، وذكر أصول الإيمان، وحسن التوسل إلى الله سبحانه وتعالى، وجمال الإقبال عليه جل وعلا، ولهذا ينبغي على العبد أن يتنبه لذلك، وأن يستفيد من تعلمه لهذه العقيدة المباركة أن الله سبحانه وتعالى ينزل في ثلث الليل الآخر، وأن يحرص أن يكون له حظ من ذلك الوقت الشريف الفاضل ولو يسيراً، ويستفتح بهذه الكلمات العظيمة المباركة التي فيها تجديد للإيمان وتقوية له، وتثبيت للعقيدة، وقد جمعت هذه الكلمات أمور الاعتقاد كلها، ولهذا يمكن أن يقال عن هذا الحديث: إنه متن جامع في العقيدة، يستحب لكل مسلم أن يستذكره كل ليلة. وهذا لا يمكن أن نقوله في المتون التي كتبها العلماء وجمعها أهل العلم، والعلماء -رحمهم الله- نهوا أن هذه الأذكار الشرعية إنما تكون محققة الفائدة عندما يأتي بها وهو يعقل معناها، ويعرف مدلولها، وقد يسر الله عز وجل، وهو الميسر وحده والمان والمتفضل، أن فرغت في هذه الأيام من كتابة رسالة بعنوان: (المقالة المفيدة شرح حديث جامع في العقيدة)، في شرح هذا الحديث وتطبع بإذن الله سبحانه وتعالى قريباً، أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة لي ولعباده إنه سبحانه سميع قريب مجيب.

*** المتن ***

وتشهد أنما القرآن حقاً	***	كلام الله من غير اعتلال
ولا تمويه مبتدع جهول	***	بخلق القول عن أهل الضلال
وآيات الصفات ترمزاً	***	كما جاءت على وجه الكمال

*** الشرح ***

يقول -رحمه الله تعالى- مقررًا العقيدة في القرآن، وفي كلام الله سبحانه وتعالى.

قوله: وتشهد أنما القرآن حقاً كلام الله: أي يا من تريد لقلبك السلامة والصحة والاستقامة تشهد أنما

القرآن حقاً كلام الله.

قوله: من غير اعتلال: أي أن الله سبحانه وتعالى تكلم به حقًا، وهو كلامه سبحانه وتعالى، سمعه منه جبريل عليه السلام، ونزل به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

قوله: ولا تمويه مبتدع جهول بخلق القول عن أهل الضلال: أي تثبت أن القرآن كلام الله إثباتًا واضحًا صريحًا بلا تمويه؛ لأن بعض أهل البدع عنده تمويه في هذا الباب، فتجد ظاهر كلامه عن الإثبات، وباطن كلامه الجحد والنفي، حقيقة كلامه جحد ذلك ونفيه، وهذا ضرب من ضروب التمويه، فيجب على المسلم أن يثبت أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، وأن الله هو الذي تكلم به كلامًا يليق بجلاله وكماله، وعظمته سبحانه، دون تمويه مبتدع جهول بخلق القرآن، أي يقول بخلق القول بخلق القرآن، فيعتقد أن القرآن مخلوق ولكنه مموه، مثلاً من أمثلة التمويه التي يشير إليها: أن بعضهم يقول: الكلام يضاف إلى الله، ونقول: كلام الله، ونضيفه إلى الله، لكن الإضافة إضافة خلق. إذن ماذا حصل إلا التمويه؟ وإلا فالعقيدة هي جحد أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى.

قوله: عن أهل الضلال: لعلها -والله أعلم- من أهل الضلال.

قوله: وآيات الصفات تمر مرًا كما جاءت على وجه الكمال: أثبت في هذا قاعدة أهل السنة والجماعة في باب الصفات، وهي قاعدة جامعة وعظيمة حيث قالوا -رحمهم الله-: آيات الصفات تمر مرًا كما جاءت. قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف. هذه كلمة السلف، ونظم هذا المعنى بقوله: وآيات الصفات تمر مرًا، كما جاءت على وجه الكمال.

وانتبه لقوله: كما جاءت. وهو قول السلف: أمروها كما جاءت. كيف جاءت؟ آيات الصفات وأحاديث الصفات هل جاءت ألفاظًا لا معنى لها؟ أو جاءت ألفاظًا محملة بالمعاني؟.

الجواب: جاءت ألفاظًا محملة بالمعنى، إذن: إمرارها كما جاءت بإثبات هذه المعاني التي جاءت محملة بها، ولا يكون مُمرًا لها كما جاءت إلا من يثبت معناها، أما من يفوض المعنى، أو يجحد المعنى، أو يؤول المعنى، كل هؤلاء لم يمرروها كما جاءت، وإنما الذي يمرها كما جاءت هو الذي يثبت معناها الذي دلت عليه وجاءت محملة به.

قوله: كما جاءت على وجه الكمال: لأن الله سبحانه وتعالى له صفات الكمال، ونعوت الجلال، وله

المثل الأعلى جل وعلا.

*** المتن ***

ورؤيا المؤمنين له تعالى *** عياناً في القيمة ذي الجلال
يرى كالبدر أو كالشمس صحواً *** بلا غيم ولا وهم خيال

*** الشرح ***

وفي هذين البيتين يذكر ما يتعلق برؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، والرؤية حق دل عليها القرآن، ودلت عليها السنة، قال الله سبحانه وتعالى: {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣]: {نَّاضِرَةٌ}: من النظرة وهو الحسن والبهاء، {إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ}، أضاف النظر إلى الوجه، وعداه بإلى وهذا لا يكون إلا في النظر بالباصرة التي هي العين، فهذا إثبات النظر إلى الله سبحانه وتعالى حقيقة بالأبصار لأهل الإيمان يوم القيامة؛ لأنه قال: {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَوَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} [القيامة: ٢٢ - ٢٤]، فإذا هذا النظر والنظرة إنما هو لأهل الإيمان، وقد ثبت في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا)، فالناظم -رحمه الله تعالى- في هذين البيتين يقرر هذه العقيدة.

قوله: ورؤيا المؤمنين له تعالى، عياناً في القيامة ذي الجلال: أي أنها حق وثابتة، وتشهد بها، وتقر بها، تشهد أنما القرآن حق، وأنما رؤية المؤمنين له تعالى عياناً، أي ثابتة متقررة، دل عليها كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

قوله: في القيامة: أي لا تكون في الدنيا، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: (اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)، فهي لا تكون في الدنيا، وإنما تكون في القيامة.

قوله: يرى كالبدر أو كالشمس صحواً بلا غيم ولا وهم خيال: جاء في الصحيحين عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه سئل: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟) قالوا: لا يا رسول الله. قال: (هل تضارون في القمر ليس دونه سحاب؟)، قالوا: لا يا رسول الله. قال: (فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك): أي رؤية حقيقة مثل ما ترون الشمس ليس بينكم وبينها سحاب، والحديث في الصحيحين، وترونه حقيقة كما ترون القمر ليس بينكم وبينه سحاب، رؤية حقيقية، وقول النبي صلى الله عليه وسلم:

(كذلك): تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس للمرئي بالمرئي، أي رؤية حقيقة بالأبصار دون تضام وتزاحم وشدة ونحو ذلك، وإنما هي رؤية حقيقة تحصل لأهل الإيمان أجمعين.

ولاحظ في الحديث المتقدم الصلة بين الصلاة والرؤية، والصلاة سميت صلاة؛ لأنها صلة بين العبد وبين الله، ولهذا لاحظ قال: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)، ونص على هاتين الصلاتين: الفجر والعصر؛ لأنهم أفضل الصلوات، ولأنها أيضاً من أكثر الصلوات تضييعاً عند كثير من الناس، فمن وفق للمحافظة على هاتين الصلاتين وفق للمحافظة على ما سواهما من الصلوات، ومن ضيع هاتين الصلاتين ولا سيما صلاة الفجر التي تأتي في مفتتح اليوم فإنه يكون بذلك هدم يومه، وانتزعت من يومه بركته من أول لحظة فيه، وكما قيل قديماً: يومك مثل جملك، أن أمسكت أوله تبعك آخره. أما من خسر أول اليوم خسر اليوم كله، ومن وفق لحفظ أول اليوم وفق لحفظ اليوم كله، وما يكون في أول اليوم يكون في سائر اليوم، ولهذا قيل: أول يومك شبابه، وآخره شيخوخته، ومن شب على شيء شاب عليه. أي الذي يكون في أول اليوم ينسحب على بقية اليوم، إن نشاطاً فنشاط، وإن كسلاً فكسل، فمن ضيع صلاة الفجر فهو لما سواها من الصلوات أضيع، ومن وفق للمحافظة عليها أعين بإذن الله سبحانه وتعالى، وكان في ذمة الله يومه كله كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

فثمة صلة بين الصلاة والرؤية، ولهذا ثبت عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام أنه كان يدعو في آخر صلاته بالدعاء المعروف، (اللهم: بعلمك الغيب، وبقدرتك على الخلق، أحييني ما كانت الحياة خير لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خير لي... وأسالك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم: زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين).

*** المتن ***

وميزان الحساب كذاك حقاً *** مع الخوض المطهر كالزلال
ومعراج الرسول إليه حق *** بنص وارد للشك جال

*** الشرح ***

هذه الآيات قرر فيها الناظم -رحمه الله تعالى- بقية مسائل الإيمان، ولاسيما ما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر هو إيمان بكل ما يكون بعد الموت مما ورد تفصيله في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

والناظم -رحمه الله تعالى- ذكر الميزان، وذكر الحوض وهي مما يكون يوم القيامة إشارة منه -رحمه الله تعالى- بما ذكر إلى ما لم يذكر؛ لأن هذه المغيبات والتفاصيل التي تتعلق باليوم الآخر يؤمن بكل ما ورد منها في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قوله: وميزان الحساب كذاك حقًا: أي الميزان الذي ينصب يوم القيامة، {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء: ٤٧]، وهو ميزان حقيقي ينصب في ذلك اليوم العظيم، ميزان له كفتان، كفة توضع فيها الحسنات، وكفة توضع فيها السيئات، قال الله تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المؤمنون: ١٠٢]، اللهم: اجعلنا منهم يا رب العالمين، {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١٠٣]، فهذا ميزان حقيقي ينصب يوم القيامة، ونصب هذا الميزان من كمال عدل الله سبحانه وتعالى، ويوزن في هذا الميزان أعمال العباد خيرها وشرها، وتوزن أيضًا فيه صحف الأعمال، كما جاء في الحديث: (يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل منها مد البصر، فيقال له: ألك حسنة؟، فيها الرجل، فيقول: لا. فيخرج بطاقة، فيها أشهد أن لا إله إلا الله، فيقول الرجل: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فتوضع البطاقة في كفة، والسجلات في كفة، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات، ولا يثقل مع اسم الله شيء)، فقوله: (توضع البطاقة في كفة، والسجلات في كفة)، هذا فيه أنه ميزان حقيقي له كفتان: كفة توضع فيها حسنات العبد، وسجلات الحسنات، وكفة توضع فيها سيئات العبد، وسجلات السيئات.

قوله: مع الحوض المطهر كالزلال: أيضًا من الأمور التي جاءت النصوص بحقيقتها وثبوتها، الحوض المورد، حوض نبينا عليه الصلاة والسلام، و(لكل نبي حوض)، وجاء وصف الحوض المورد بأن كيزانه عدد نجوم السماء، وطعمه أحلى من العسل، ولونه أبيض من اللبن، ورائحته أطيب من رائحة المسك، إلى غير ذلك من صفاته التي جاءت في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، قال: (من شرب منه شربة، لم يظمأ بعدها أبدًا)، فنؤمن بهذا الحوض.

قوله: مع الحوض المطهر: أي المطهر من الأنجاس والأقذار.

قوله: كالزلال: أي عزوبة، فهو ماء كالزلال أي ماء عذب طيب، (من شرب منه شربة لم يظماً بعدها

أبدًا).

قوله: ومعراج الرسول: أي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم النبيين.

قوله: إليه: أي إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله: حق: أي ثابت دلت عليه الأحاديث الصحيحة الثابتة عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه

عليه.

قوله: بنص وارد للشك جال: أي بنص صحيح ثابت عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام، لا يبقى

مع هذا النص أي شك في ثبوت المعراج، وأن المعراج حق.

وقد جاء في حديث المعراج أن نبينا عليه الصلاة والسلام، عرج به إلى السماء الأولى، ومنها إلى الثانية،

ومنها إلى الثالثة، إلى أن بلغ السماء السابعة، في كل سماء يلقى بعض أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه،

وآخر من يلقاهم إبراهيم الخليل، خليل الرحمن، يلقاه في السماء السابعة، فيسلم عليه، ويرحب به إبراهيم، ويقر

بنبوته، ثم بعد ذلك رفع عليه الصلاة والسلام إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور، ثم عُرج به إلى الجبار

جل وعلا فدنى منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، {فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ} [النجم: ١٠]، وفرض عليه

الصلاة خمسين صلاة، ثم خففت إلى خمس صلوات.

فهذا المعراج حق، وهو من خصائص نبينا عليه الصلاة والسلام ومناقبه ومآثره العظيمة صلى الله عليه

وسلم.

ويدل هذا المعراج على عظم شأن الصلاة التي فرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم فوق سبع سموات،

أما بقية فرائض الإسلام وواجبات الدين فكان جبريل ينزل بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذه الصلاة

خصت بأن فرضت على نبينا عليه الصلاة والسلام فوق سبع سموات عندما عرج به إلى السماء مما يدل على

المكانة العظيمة لهذه الصلوات الخمس التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده.

لكن مع غربة الدين في بعض الأمكنة يشتغل الناس بالبدع ويدعون الفرائض، ولهذا تجد أحياناً في بعض

المجتمعات من يتهاون بالصلاة المكتوبة ولا يفوت الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، مع أن الاحتفال بليلة الإسراء

والمعراج بدعة، لم يفعله السلف أبداً، الصحابة ومن اتبعهم بإحسان لم يفعلوه، فتجده يتهاون في الفرض، والفرائض الصلوات الخمس، ولا يفوت الأمور التي لا أصل لها في هدي نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذا ناشئ من غربة الدين، وجهل كثير من الناس بفرائض الإسلام وواجباته العظام، وأيضاً جهلهم بخطورة البدع التي ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان.

*** المتن ***

كذاك الجسر ينصب للبرايا *** على متن السعير بلا محال
فناج سالم من كل شر *** وهاو هالك للنار صال

*** الشرح ***

هذان البيتان ذكر فيهما الناظم -رحمه الله تعالى- الجسر الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة، وهو جسر مستقيم، صراط مستقيم، وصف في الحديث بأنه أحد من السيف، وأدق من الشعر، ينصب على متن جهنم يوم القيامة، ثم يطلب من الناس أن يمروا من على الصراط، وإلى هذا الصراط جاءت الإشارة في القرآن الكريم في قول الله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: ٧١]: أي جهنم، {كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا} (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧١، ٧٢]، فجاءت السنة مفسرة هذا الورود بالمرور على الصراط الذي ينصب يوم القيامة على متن جهنم.

قوله: كذاك الجسر ينصب للبرايا: أي ينصب للناس أجمعين، يطلب منهم المرور من على هذا الصراط، لا سبيل إلى الفوز بالجنة، والهناء بنعيمها إلا بالعبور من فوق هذا الصراط.

قوله: على متن السعير: أي على متن جهنم.

قوله: بلا محال: أي بلا شك ولا ريب، فهو أمر ثابت دلت عليه النصوص الصحيحة الصريحة.

قوله: فناج سالم من كل شر، وهاو هالك للنار صال: أي أن الناس حالهم على إثر هذا الأمر لهم

بالعبور على متن جهنم أنهم ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: قسم ناج. أي ينجو ويسلم من السقوط في النار، ويكرمه الله سبحانه وتعالى بالعبور من فوق هذا الصراط، على أن هؤلاء يتفاوتون في العبور من حيث السرعة، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر جرياً، ومنهم يمر مشياً، ومنهم من يمر زحفاً، فهم

متفاوتون، وهذا التفاوت في العبور ناشئ عن التفاوت في الدنيا في الأعمال، فكلما صحت أعمال العبد وقويت وكثرت وطابت كان أسرع ذلك له في العبور، وإذا ضعفت ضعف سيره في عبوره على متن ذلك الصراط. القسم الثاني: قسم هاو للنار صال. وهو من يهوي في نار جهنم ويسقط في النار ولا يتمكن من العبور على الصراط.

جاء في الصحيحين عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه سُئل: ما الجسر؟ قال: (مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلايب): أي إضافة إلى كونه مدحضة ومزلة، أيضاً عليه خطاطيف وكلايب، أي تخطف الناس، (وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد، يقال لها: السعدان)، أيضاً هذه تخطف من هؤلاء العابرين فيسقط في نار جهنم، (يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً).

عرفنا أن هذا التفاوت في العبور راجع إلى التفاوت في السير على الصراط المستقيم الذي أمر العباد بالسير عليه في هذه الحياة الدنيا، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٦]، والناس في سيرهم على الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا متفاوتون تفاوتاً عظيماً، وأيضاً لما كان الناس يتلون في هذه الحياة الدنيا بخطاطيف من الشبهات والشهوات تحرفهم عن الصراط، وجدت أيضاً الخطاطيف والكلايب التي تخطف الناس يوم القيامة بسبب انحرافهم عن الصراط في الحياة الدنيا.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه: (اجتماع الجيوش) بأن مشيهم على الصراط بالسرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا، قال: فأسرعهم سيراً هنا -أي في الدنيا- أسرعهم هناك، وأبطئهم هنا، وأبطئهم هناك، وأشدّهم ثابتاً على الصراط المستقيم هنا، أثبتهم هناك، ومن خطفته كلايب الشهوات والشبهات والبدع المضلة هنا، خطفته الكلايب التي كأنها شوك السعدان هناك، ويكون تأثير كلايب الشهوات والشبهات والبدع فيه هنا، فجاج مسلّم، ومخدوش مسلّم، ومخدول -أي مقطع بالكلايب- مكردس في النار، كما أثر فيهم تلك الكلايب في الدنيا جزاء وفاقاً، {وَمَا رُبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦].

*** المتن ***

ونؤمن بالقضا خيراً وشرّاً *** وبالمقدور في كلّ الفعل

*** الشرع ***

هذا البيت فيه الإيمان بالقضاء والقدر، وهو ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصوله العظام، وقد جاء في حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، قال: أخبرني عن الإيمان. قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)، والإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى علم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه سبحانه وتعالى كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، كتبه في اللوح المحفوظ، وأن الأمور كلها بمشيئة الله، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، له المشيئة النافذة والقدرة الشاملة، وأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء، وهذه مراتب الإيمان بالقدر، التي لا إيمان بالقدر إلا بالإيمان بها.

قوله: ونؤمن بالقضا خيراً وشرّاً: أي بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

قوله: وبالمقدور في كل الفاعل: وأفعال العبد حركاته، سكناته، طاعاته، معاصيه، كل ذلك بقدر، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصفات: ٩٦]، فالله سبحانه وتعالى خالق الذوات وخالق ما يقوم فيها أيضاً من حركات وسكنات.

*** المتن ***

وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ قَدْ أَعَدَّتْ	***	لَأَعْدَاءِ الرَّسُولِ ذَوِي الضَّلَالِ
بِحِكْمَةٍ رَبَّنَا عَدْلًا وَعِلْمًا	***	بِأَحْوَالِ الْخَلَائِقِ فِي الْمَالِ
وَأَنَّ الْجَنَّةَ الْفَرْدَوْسَ حَقٌّ	***	أَعَدَّتْ لِلْهَدَاةِ أُولِي الْمَعَالِ
بِفَضْلِ مِنْهُ إِحْسَانًا وَجُودًا	***	وَتَكْرِيماً لَهُمْ بَعْدَ الْوَصَالِ

*** الشرع ***

هذه الأبيات الأربع فيها ذكر الجنة والنار، (والجنة حق، والنار حق)، النار أعدها الله سبحانه وتعالى لأعداء الرسول ذوي الضلال بحكمته سبحانه وتعالى عدلاً منه وعِلماً بأحوال الخلائق في المال، النار مخلوقة وموجودة أعدت للكافرين، وهذا الإعداد المسبق قبل وقت دخول هؤلاء الكفار لها مبني على علم الله سبحانه وتعالى بأحوال الخلائق في المال.

قوله: وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ قَدْ أَعَدَّتْ لأعداء الرسول ذوي الضلال: قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي

أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران: ١٣١]، فالنار معدة وموجودة بعذابها، وحميمها، وغساقها، ومخلوقة موجودة، والله سبحانه وتعالى أعدها للكافرين يدخلونها يوم القيامة.

قوله: وأن الجنة الفردوس حق، أعدت للهداة أولي المعال: والجنة أعدها الله سبحانه وتعالى للهداة،

كما قال الله تبارك وتعالى: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]، فهي مخلوقة وموجودة أعدها الله سبحانه وتعالى للهداة، أي الذين لزموا طريق الهدى، وسلكوا صراط الله المستقيم.

قوله: أولي المعال: أي معالي الأمور من العلوم النافعة والأعمال الصالحة المقربة إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله: بفضل منه إحساناً وجوداً، وتكريماً لهم بعد الوصال: هذا فضل من الله لهؤلاء الهداة أولي المعالي،

وإحساناً وجوداً منه سبحانه وتعالى تكريماً لهؤلاء للزومهم طاعة الله، وعملهم بمرضاته سبحانه وتعالى.

*** المتن ***

وكل في المقابر سوف يلقي	***	بلا شك هنالك للسؤال
نكيراً منكراً حقاً بهذا	***	أتانا النقل عن صحب وآل
وأعمالاً تقارنه فإما	***	بخير قارنت أو سوء حال

*** الشرح ***

ذكر هنا -رحمه الله تعالى- القبر، والقبر كما جاء في الحديث: (أول منازل الآخرة).

قوله: وكل في المقابر سوف يلقي بلا شك هنالك للسؤال، نكيراً منكراً حقاً، بهذا أتانا النقل عن

صحب وآل: أي من جملة الاعتقاد التي دلت عليه النصوص الإيمان بأن العبد سيلقى بلا شك ولا ريب في القبر، إذا أدرج في قبره نكيراً منكراً، منكر ونكير، وهما ملكان وكل الله سبحانه وتعالى إليهما سؤال العباد، ولهذا يقال لهما: الفتانان. ويُقال لهما: المنكر والنكير. لأنهما يأتيان على صورة منكرة ليست معهودة للعبد، ولم ير قط مثلها فيما رآه، فهي هيئة منكرة.

قوله: نكيراً: مفعول يلقي، يلقي نكيراً منكراً حقاً.

قوله: نكيراً منكراً حقاً بهذا أتانا النقل عن صحب وآل: أي أن هذان الملكان يأتيان الميت إذا أدرج

في قبره، ويسألانه من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟.

جاء في الصحيحين عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب

أصحابه، حتى إنه لا يسمع قرع نعالهم، آتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى

الله عليه وسلم؟. فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من

الجنة. فيراهما جميعاً، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين).

قوله: وأعمالاً تقارنه: هذا معطوف على قوله: نكيراً. أي يلقي في قبره نكيراً ومنكر، ويلقى أيضاً في

قبره أعمالاً تقارنه، وهي أعماله التي قام بها في هذه الحياة صالحة كانت تلك الأعمال أو طالحة.

قوله: تقارنه: أي تكون قرينة له في قبره.

قوله: فإما بخير قارنت أو سوء حال: أي يلقي أيضاً في القبر أعمالاً تقارنه في قبره.

قوله: فإما، بخير: أي تكون مقارنة له بخير.

قوله: أو سوء حال: أي تكون مقارنة له بسوء حال.

ولهذا جاء في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله)، عمل الإنسان يدخل معه في قبره، ويكون قريباً له، سواء كان هذا العمل صالحاً أم غير صالح، أما أهله فلا يدخل أحد منهم معه في قبره، وأيضاً ماله لا يدخل شيء من ماله معه في قبره، إلا الكفن، وهو قطعة قماش يلف بها، ثم سريعاً ما تبلى، يأكلها التراب، فلا يكون معه شيء من ماله في قبره، ولا يكون معه أيضاً معه أحد من أهله في قبره، وإنما الذي يكون معه في قبره هو عمله يقارنه.

*** المتن ***

فيا فرداً بلا ثان أجري	***	وثبني بعزك ذا الجلال
وعاملني بعفوك واغن قلبي	***	بفضلك عن حرامك بالحلل
ونق القلب من درن الخطايا	***	ورشني من فواضلك الجزال
ولاطف باللطائف والعنايا	***	ضعيفاً في جنابك ذا اتكال
وجملني بعافية وعفو	***	فإن تمنن بعفوك لا أبال
وصلى الله ما غنت بأيك	***	على الأغصان من طلع وضال
تنادي دائماً تدعو هديلاً	***	حمامات على فنن عوال
على المعصوم أفضل كل خلق	***	وأزكى الخلق مع سحب وآل

*** الشرع ***

لما أنهى الناظم -رحمه الله تعالى- ما يتعلق بمقاصد هذه المنظومة، وما ختمها به أيضاً -رحمه الله تعالى- من تقرير لمعتقد السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- المستمد من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ختم هذا النظم بهذه الدعوات.

قوله: فيا فرداً: الفرد ليس من أسماء الله تبارك وتعالى، وإنما من أسمائه الأحد، والواحد، والوتر، هذه كلها تدل على الوحدة والتفرد، ولكن لا بأس أن يخبر عنه تبارك وتعالى بالفرد.

قوله: بلا ثان: هذا هو معنى الفرد.

قوله: أجرني: أي من كل أمر يسخطك، ومن خزي يوم الدين، ومعنى أجرني: أي قني ذلك، وجنبي إياه، وأعذني منه.

قوله: وثبتني: أي بالقول الثابت، قال الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} [إبراهيم:

٢٧].

قوله: بعزك ذا الجلال: هذا توسل إلى الله سبحانه وتعالى بعزه وأنه تبارك وتعالى ذو الجلال.

قوله: وعاملني بعفوك: أي أسالك يا الله: أن تعاملني بعفوك، أما أعمالي فأنا عبد مقصر، وكثير التفريط، لكن أرجو منك يا ربي أن تعاملني بعفوك.

قوله: واغن قلبي بفضلك عن حرامك بالحلal: أي تكرم علي يا الله بأن ترزق قلبي بفضلك، مثل ما جاء في حديث علي: (اللهم: اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن من سواك): أي أغن قلبي بالحلال بفضلك يا الله عن الحرام.

قوله: ونق القلب من درن الخطايا: وهذا له تعلق بغرض هذه المنظومة الذي هو سلامة القلب ونقاؤه.

قوله: ونق القلب: أي طهره يا الله، كما جاء في الدعاء المأثور: (ونقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس): أي طهرني من الذنوب والخطايا.

قوله: ورشني: أي ألبسني، وفي الآية الكريمة: {لِبَاساً يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشاً} [الأعراف: ٢٦].

قوله: من فواضلك الجزال: فيه سؤال الله تبارك وتعالى أن يكسو عبده كساء الإيمان والتقوى، قال الله

تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: ٢٦]، فهو يسأل الله تبارك وتعالى أن يمن عليه بلباس التقوى بأن يكون متجماً به، وأن يكون زينة للعبد كما في الدعاء المأثور: (اللهم: زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين).

قوله: ولاطف باللطائف والعنايا ضعيفاً في جنابك ذا اتكال: أي يسأل الله تبارك وتعالى اللطف، وأن

يحيطه بعنايته، وحفظه، وتسديده، وتوفيقه، ويقر بأنه عبد ضعيف لا غنى له عن ربه طرفة عين، فهو متوكل على الله ملتجئ إليه سبحانه وتعالى، لا غنى له عن ربه وسيده ومولاه طرفة عين.

قوله: وجملي بعافية وعفو، فإن تمن بعفوك لا أبال: أي لا أبالي بعد ذلك بشيء إن تكرمني يا الله

بعفوك، والعافية مثل ما جاء في الحديث: (اللهم: إني أسالك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم: إني أسالك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي)، ففيه سؤال الله تبارك وتعالى العفو، أي الصفح والتجاوز عن الذنوب التي وقع فيها العبد، والعافية سؤال الله تبارك وتعالى الحفظ فيما يستقبله العبد من أيامه وأوقاته، وفيه طلب الصفح والتجاوز عن ما وقع فيه العبد من تقصير، وفيه سؤال الله تبارك وتعالى الحفظ والتسديد والمعونة على الخير والطاعة.

قوله: بأيك: الأيك الشجر الكثيف الملتف، والواحدة منه أيغة.

قوله: طلع: شجر عظام من العضاة.

قوله: وضال: الضال هو السدر البري.

قوله: هديلاً: الهديل هو صوت الحمام.

قوله: حمامات: هذا فاعل قوله: غنت. غنت حمامات.

قوله: فنن: أي الغصن المتشعب.

قوله: على المعصوم أفضل كل خلق، وأزكى الخلق مع صحب وآل: وهذا ختم لهذا النظم بالصلاة

على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وعلى الصحب والآل.

وبهذا تنتهي هذه المنظومة.

والله أعلم.